

# مبادئ الفلسفة الحديثة

## ٣ - الفلسفة والحياة

\*\*\*

### ٤ - الفرد والمحيط

الفرد الانساني كما رأينا من قبل مخوف بمحيط يتطلب منه بعض مسؤوليات يجب عليه القيام باعبائها اذا قدر له أن يعيش . أما مادة المحيط اتساعاته ، وكذلك تكوينه واغلاله ، فحقائق جافة ملموسة لا تعرف هوادة بما تتطلب من حاجات . وكذلك العادات التي تنشأ فيه وتقاليده ، واستعمالاته لادبية والدينية ، ومعتقداته الالزامية ، يجب أن يعترف بها وان يسلم بديا وجودها . غير أن الفرد ، من جانبه الشخصي ، له منافع ومصالح خاصة به . ان الفرد ليس ذلك الكائن السلبى الصرف فيما يتعلق بمحيطة الذى يحويه . نه مركز ايجابى عملى له حاجاته ورغباته ، التي تقوم بجانبها ارادة تسد اطماعه ن هذه الحاجات والرغبات . وله فوق ذلك قدرة على الاتفاف بمحيطة ، وأن سبه فى قالب مايساعده على الوصول إلى غاياته .

وليس الفرد بالعوبة تتقاذفها القوات الطبيعية والاجتماعية ، كلا . فان مرد تأثيراً عاكساً فى هذه القوات يتحدد إلى درجة ما بمقتضى طبيعته . أما صور التي يتحيز فيها التأثير العكسى للافراد فى محيطهم فكثيرة . وليس ن شأننا فى هذا الموطن أن نعدد هذه الصور بالتفصيل . غير اننا لانهمل كر ثلاثة منها لها شأن خاص فى دراستنا هذه .

### (١) - التأثير الاجتماعى

اول ما يتبادر إلى اذهاننا أن تأثير الانسان فى محيطه انما يكون بديا ن طريق احساساته واتصالاته لذة وألماً . فان الفرد الانسانى قد فطر

وكون على أن يشعر بلذة أو ألم ، وكذلك فهو يعمل دائماً على أن يحصل على احدهما ويتجنب الآخر . وبهذا يؤثر تأثيراً عاكساً في محيطه بان يمضى باحثاً وراء الاشياء التي يلتذ بها ، ويتنكب كل الاشياء التي يتألم منها . وفي الظاهر أنه يشاطر في هذا الفعل كل صور الاحياء الحيوانية . ويلوح لنا أن هذه القاعدة تجري على أبسط صور الحياة ، كما تجري على ارقاها تركيباً واسماها بناء . ولا خفاء في أن هذه الظاهرة من اكبر الظاهرات التي تؤثر بها الاحياء في محيطها الذي يحف بها .

## (٢) — التأثير الاتفعالي

أما الصورة الثانية من صور التأثير الفردي فنندعوها بالصورة الاتفعالية . أما اذا حاولنا أن نعلل أوجه هذا الضرب من التأثير العاكس ، فإن ذلك يجرنا الى الكلام في نظريات كثيرة واعتبارات شتى ، تجرنا حتما الى ميدان تتسع حدوده لأبعد مما يجب أن نحدد به بحثنا في المبادئ الأولية ، كما نريد أن نعمل في هذه الابحاث .

ويكفي أن نعرف هنا أن صور التأثير الاتفعالي متشابكة متخالطة ، اذ تتضمن الاحساسات التي أشرت اليها سابقاً ، مضافا اليها كثيراً من المؤثرات العضوية العاكسة ، وقدر كبير من النشاط العقلي . والامثال على هذه الصور كثيرة لا تحصى . فالخوف والغضب والحب والبغض والحزن والاشتقاق والتسلية والعبادة كل هذه أمثال تضرب على التأثير الاتفعالي .

على أن هذا التأثير — الاتفعالي — بفضل ماله من أوجه التشابك والاختلاط لا يكون الا في العضويات العليا التي تمتاز بجهاز عصبي فيه رقي فزيولوجي يدل عليه اختلاطه وتشابك اطرافه . اما الجزء الذي يبلغ اليه هذا التأثير من حيث الانتشار في صور العضويات فسؤال لا يجب ان يعنت شخص نفسه في الجواب عليه . لانك اذا قلت بان اميباً حية في حالة حب او غضب او خوف كان هذا مجازاً لا معنى له .

## (٣) - التأثير العقلي العاكس

اما ثالث صورة من صور التأثير الخاص بالذوات الانسانية فتأثير العقل  
تأثيراً عاكساً . ويتكون هذا الفعل العاكس في جوهره في تحديد المشاكل  
التي تصادف الانسان في محيطه الذي يعيش فيه ، وفي العمل على الوصول الى  
حل لها . ومن طريق قدرته العقلية يستقرىء الانسان ما يستطيع ان يستقرىء  
من معانى الاشياء المحيطة به وطبائعها ، ويسمّيها باسماء خاصة ، وبذلك يكون  
لفظه ، ويزن قيمة الاشياء ، ويحدد علاقة الاشياء ، او مراكزها المكانية  
بالنسبة بعضها لبعض . اما الزمان الذي بدأت فيه القدرة الانسانية على ان  
يكون لها أثر في حياة الانسان ، فليس هذا موطن الاقضية فيه ، وان كان  
من موضوعنا هذا في اسمى اعتبار : ويكفى هنا ان تقول ان بدايات القوة  
العاقلة في الانسان قد تعثر عليها فيما نسميه بالغريزة الحيوانية . وهى تسمية  
لا ينقصها الكثير من الغموض والابهام . وكما انه من الجائز ان تكون القوة  
العاقلة صورة من صور الغريزة ، كذلك يجوز ان تكون مستمدة من ناحية  
اخرى . ومهما يكن من أمر هذه القوة الغريبة ، فان فعلها العاكس وقف  
على الفرد الانسانى وحده دون بقية المخلوقات . ويكفى ان تعرف هذا وحده  
في درسنا هذا .

